المحاضرة الثالثة عشـــــــــرة

علوم القرآن (2)

•

•القسم في القرآن الكريم + قصص القرآن الكريم

القســـم فـــي

القرآن الكريم

•مدخل

•يختلف الاستعداد النفسي عند الفرد في تقبله للحق وانقياده لنوره، فالنفس الصافية التي لم تدنس فطرتها بالرجس تستجيب للهدى، وتفتح قلبها لإشعاعه، ويكفيها في الانصياع إليه اللمحة والإشارة. أما النفس التي رانت عليها سحابة الجهل، وغشيتها ظلمة الباطل فلا يهتز قلبها إلا بمطارق الزجر، وصيغ التأكيد، حتى يتزعزع نكيرها،وكذلك صاحب القلب المغلف، ليس له استعداد لتقبل الحق إلا أن تسلك معه طرق آخر، والقسم في الخطاب من أساليب التأكيد التي يتخللها البرهان المفحم، والاستدراج بالخصم إلى الاعتراف بما يجحد.

•والقسم من الأساليب التي يلجأ إليها الناس لتأكيد كلامهم في مخاطبة بعضهم بعضا ، والناس درجات في تقبلهم لما يلقى إليهم :

•1- منهم خالي الدهن عما يلقى إليه من خطاب.

•2- ومنهم من يكون مترددا شاكا.

•3- ومنهم من يكون منكرا معاندا مكابرا.

•والقرآن الكريم يخاطب كل هذه الطبقات ، لذلك استعمل القسم لإقامة الحجة وتأكيد الخبر .

•تعريف القَسَم :

•لغة:الحلف واليمين، بخلاف الحِلْف بكسر الحاء فهي العهد بين القوم ،وحالفه بمعنى عاهده .

•والحَلِف هو اليمين(ولاتطع كل حلاف مهين)

•وفي الحديث:(من حلف على يمين فرأى خيرا منها فيكفر وليأتي الذي هو خير).

•اصطلاحا:

•ربط النفس بالامتناع عن شيء أو الاقدام عليه أو على صحته أو بطلانه ، بمعنى معظم أو عند الحالف حقيقة أو اعتقادا، وسُمي الحلف يمينًا؛ لأن العرب كان أحدهم يأخذ بيمين صاحبه عند التحالف.

•صيغة القسم:

الصيغة الأصلية للقسم أن يؤتى بالفعل "أقسم" أو "أحلف" متعديًا بالباء إلى المُقسم به. ثم يأتي المُقسم عليه، وهو المسمى بجواب القسم، كقوله تعالى: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ}

•أركان القسم : وهي أربعة:

1- فعل القسم.

2- أداة القسم.

3- والمُقسم به.

3- والمُقسم عليه أو جواب القسم.

•أنواع القسم:

•القسم إما ظاهر، وإما مضمر.

•1- فالظاهر:

•ما توافرت فيه أركان القسم الأربعة، مثل قوله تعالى:(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ)

•أوحذف فيه فعل القسم كقوله تعالى:(فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ)

•أو حذف منه جواب القسم وهو المقسم عليه إذا كان في المقسم به ما يدلّ علي المقسم عليه ، توخيا للإعجاز في الإيجاز، كقواه تعالى:(ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ) (ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ)

•2- والقسم المضمر:

•هو ما لم يصرِّح فيه بفعل القسم، ولابأداته ولا بالمقسَم به، وإنما تدل عليه اللام المؤكدة التي تدخل على جواب القسم كقوله تعالى: {لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا}، أي والله لتبلون ، وكقوله تعالى:(كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ)

•المُقسم به في القرآن:

•وهو نوعان:

•النوع الأول: قسم بالله تعالى:

•وقد أقسم الله تعالى بنفسه في القرآن في خمسة مواضع:

1- وقوله: {فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ}.

2- وقوله: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}.

3- وقوله:{فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ}.

4- (فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ)

5- وقوله: {فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ}.

•وقد ورد القسم على لسان الأنبياء عليهم السلام :

•كقسم إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى:(وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ)

•كما أمر الله تعالى نبيه بالقسم به في مواضع منها:

1- في قوله: {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ} .

2- وقوله: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ}.

3- وقوله: {وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ}.

•النوع الثاني :قسم الله تعالى بمخلوقاته:

•والقسم بها فيه اثبات لعظمة خالقها وبارئها وفيه اشارة :

•إما لفضلها كقوله تعالى:(لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) وقوله:(وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (1) وَطُورِ سِينِينَ (2) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ) (ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ)

•وإما لنفعها أوفضلها كقوله سبحانه: :(وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ) وقوله: {وَالْفَجْرِ، وَلَيَالٍ عَشْرٍ} .

•وإما لكونها من أعظم آياته ومخلوقاته كقوله: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا} {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى، وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى} {وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ}.

•وإما لكونها حق كقوله تعالى:(لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ)

•وهذا هو الكثير في القرآن،ولله أن يحلف بماء شاء، أما حلف العباد بغير الله فهو ضرب من الشرك، فعن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "من حلف بغير الله فقد كفر - أو أشرك".

•وإنما أقسم الله بمخلوقاته؛ لأنها تدل على بارئها، وهو الله تعالى، وللإشارة إلى فضيلتها ومنفعتها ليعتبر الناس بها وعن الحسن قال: "إن الله يقسم بما شاء من خلقه وليس لأحد أن يقسم إلا بالله"

•المقسَم عليه في القرآن الكريم:

•المقسَم عليه هو الذي يُراد توكيده وتحقيقه بالقسم، فلا بد أن يكون مما يحسن فيه ذلك، كالأمور الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها.

•فأما الأمور المشهودة الظاهرة كالشمس والقمر والليل والنهار فيقسم بها ولا يقسم عليها.

•والأمور التي أقسم الله تعالى عليها في القرآن الكريم هي أصول الإيمان التي يجب على الخلق معرفتها ويمكن إجمالها في الآتي:

•التوحيد:

•كقوله: {وَالصَّافَّاتِ صَفًّا، فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا، فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا، إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ}

•أن القرآن حق:

•كقوله تعالى: {فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ، وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ، إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ} .

•أن الرسول حق:

•كقوله: {يس، وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ، إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ}.

•أن الجزاء والوعد والوعيد وأمور الآخرة حق:

•كقوله: {وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا، فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا، فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا، فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا، إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ، وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ}.

•أحوال الإنسان وما فطره الله تعالى عليه من الصفات، كقوله: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى، وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى، إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى}. (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (6) وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (7) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ)

•واختلف العلماء فيها على أقوال منها:

•1- أنها نافية للقسم:

•فقيل: المعنى أن الأمر من الوضوح والظهور بحيث لا يحتاج إلى قسم فلا أقسم.

•2- أنها صلة ، أي: زائدة:

•ثمّ اختلفوا في توجيهها بعد ذلك:

فقيل : إن لا زائدة لتوكيد القسم والمعنى أقسم.

وقيل:إنها زيدت توطئة وتمهيدا لنفي جواب القسم.

•3- وقيل : أنها نافية لمحذوف يناسب المقام لا القسم.

•4- أن "لا أقسم" صيغة من صيغ القسم، أي صور من صور القسم التي يرد بها ، وعلى ذلك "لا" هنا ليست لنفي القسم ، وليست بصلة ، وإمنا لتأكيد القسم .

•وتأكيد الأمر عن طرق النفي مألوف عند العرب ، مثلا :إذا قلت لصاحبك لا أوصيك بفلان ،فإنك تريد بذلك أوصيك ، وأشدد عليك في الوصية.

•وعلى ذلك فإنّ القولين الثالث والرابع هما أقوى الأقوال .

•من فوائد القسم:

•1- تأكيد المقسم عليه.

•2- لفت الأنظار إلى ما يحويه الكون من أسرار عجيبة ، وآيات عظيمة، وما فيه من نظام محكم ، وفي ذلك أيضا دلالة على عظمة خالقها.

•3- أقامة الحجة على المشركين ، وإثبات صدق الرسول □، وذلك أن العرب كانت تعتقد أن الأيمان الكاذبة تهلك صاحبها.

•4- أظهار فضل المقسم به وعظمته.

•5- امتناع انكار الخصم في القسم.

•6- بالغة الإيجاز في القسم.

•7- البدء بالقسم يكسب السورة وجها خاصا ووضعا مقبولا في النفس.

قصص القرآن الكـــــــــريم

•مدخل

•الحادثة المرتبطة بالأسباب والنتائج يهفو إليها السمع، فإذا تخللتها مواطن العبرة في أخبار الماضين كان حب الاستطلاع لمعرفتها من أقوى العوامل على رسوخ عبرتها في النفس.

•والموعظة الخطابية كلما أخذت صورة من الواقع ، وتخللتها قصصة فيها عبر وعظات ، كلما كان أثرها في النفس عميقا، وتجاوب معها السامع، وتأثر بما فيها من عبر وعظات، وقد أصبح أدب القصة اليوم فنًّا خاصًّا من فنون اللغة وآدابها، والقصص الصادق يمثل هذا الدور في الأسلوب العربي أقوى تمثيل، ويصوره في أبلغ صورة.

•معنى القصص

•لغة :القص: تتبع الأثر، ماديا كان أومعنويا.

•**فالمادي** يقال: قصصت أثره: أي تتبعته، والقصص مصدر، قال تعالى: {فارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً}، أي رجعا يقصان الأثر الذي جاءا به. وقال على لسان أم موسى: {وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ}، أي تتبعي أثره حتى تنظري من يأخذه.

•ومنه القِصاص قال تعالى:(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) لما فيه من تتبع أثر الجاني ومجازاته بمثل فعله،من قتل أو قطع أو جرح.

•والقصيصة :الزاملة الضعيفة ، لأنها تكون منقطعة عن القافله، تسير خلفها ، فهي بذلك تتبع أثر غيرها.

والمعنوي: كتتبع أجبار الأمم الماضية ، قال تعالى: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ}، وقال: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ}

•والقصة: الأمر، والخبر، والشأن، والحال.

•وقصص القرآن اصطلاحا:

أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة - وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه.

•أنواع القصص في القرآن:

•والقصص في القرآن ثلاثة أنواع:

•النوع الأول: قصص الأنبياء السابقين:

•وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذبين، كقصص نوح، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وعيسى، ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين، عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام.

•النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت ثبوتهم:

•كقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. وطالوت وجالوت، وابني آدم، وأهل الكهف، وذي القرنين، وقارون، وأصحاب السبت، ومريم، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الفيل ونحوهم.

•النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول □:

•كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة، وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب، والهجرة، والإسراء، ونحو ذلك.

•فوائد القصص في القرآن الكريم:

•1- تثبيت فؤاد النبي□.

•2- إيضاح أسس الدعوة إلى الله، واشتراك كل الأنبياءفيها. 3- تأكيد صدق الأنبياء السابقين عليهم السلام.

•4-إظهار صدق الرسول□:

•5-التهديد والوعيد للكفار، والعظة والاعتبار للمؤمنين.

•6- القصة ضرب فريد من ضروب الأدب يجذب السامع ويسترعي انتباهه.

•مزايا القصة القرآنية:

•1- ربانية المصدر:

•قال تعالى:(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى *عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى)

•2- صادقة ومطابقة للواقع، وأنها حقيقة لا خيال:

•قال تعالى:(إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ)(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى)(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ)(نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)

•3- الاختيار للعظة والعبرة:

يختار الله تعالى من القصة أو الحدث أجزاء تناسب أهداف السورة وموضوعها.

•4- الإعجاز:

والإعجاز في القصة جزء من للإعجاز في القرآن الكريم.

•5- التكرار

وهو من أهم وأبرز مزايا القصة في القرآن الكريم ، وتكرارها يفيد أنها تخدم أغراضا كثيرة.

•تكرار القصص وحكمته:

يشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص الذي تكرر في غير موضع، فالقصة الواحدة يتعدد ذكرها في القرآن ، وتُعرض في صور مختلفة في التقديم والتأخير، والإيجاز والإطناب، وما شابه ذلك. ومن حكمة هذا :

•1- قوة الإعجاز:

لأن طرقة العرض تختلف من موضع لآخر ، وكذلك الأسلوب ، والصياغة والتعبير ، مما يدلّ على قوة الإعجاز.

•2- بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها:

فمن خصائص البلاغة إبرازالمعنى الواحد في صور مختلفة، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر، وتُصاغ في قالب غير القالب، ولا يمل الإنسان من تكرارها، بل تتجدد في نفسه معان لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى.

•3- الإهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها في النفس:

لأن التكرار من طرق التأكيد والإهتمام، كما هو الحال في قصة موسى وفرعون، لأنها تمثل الصراع بين الحق والباطل أتم تمثيل.

4- اختلاف الغاية التي تساغ من أجلها القصة:

بمعنى أن ذكرها يختلف من موضع لآخر بحسب ما تعالجه من أمر ، وما تخدمه من غرض.

‘‘‘

اسـأل الله

لي ولكم التوفيق السداد

أخوكم المهاجر